الغوص في الحزام المكتوب بالفرنسية:
قراءة النص مترجمًا إلى العربية

عبد الله بن أحمد الغامدي
جامعة الملك عبدالعزيز – جدة
قسم اللغات الأوروبية وآدابها – أدب فرنسي

الملخص:

شهدت الساحة الفرنسية إنتاجًا أدبيًا كبيرا، من كبار كتابها ورحالتها ومفكريها الذين بدورهم، اثروا في مفكري وأدباء الشعوب التي استعمروها فكتب هؤلاء إنتاجهم الفكري الغرائبي (Exotique) بلغة المستعمر الفرنسي، لا سيما في النصف الثاني من القرن العشرين.

وبدوره تأثر الكاتب الفرانكفوني السعودي أحمد أبو دهمان ببعض الكتاب الفرانكفونيين من المغرب العربي وحاول السير على نفس خطاهم وذلك بتقديم صورة مختلفة عن المجتمع السعودي عبر روايته (الحزام).

كثف أبو دهمان السياق الحكائي؛ لجذب القارئ الغربي، واجتهد في فتح حكايات المجتمع المغلق والمحافظ نحو العالمية فاشتهرت روايته من خلال نشرها وإعادة نشرها عدة مرات وبعدة لغات، بعد أن تركت الرواية إبداعا مختلفا في طرحها، وأفكارها الجديدة وقراءاتها المتعددة. حيث عاد الكاتب بذاكرته إلى الوراء وسردها في قالب جذاب ليتمكن من العيش والتعايش مع الآخرين. ومن خلال نشر روايته اكتشف أبو دهمان أن له أقارب وأصدقاء في العالم، يشبهون كثيرًا أهل قريته بالرغم من اختلاف لغاتهم ولهجاتهم وثقافاتهم.

ترجم الروائي أبو دهمان روايته إلى العربية، وفي الترجمة، إثراء للفكر الإنساني، إلا أن

الغوص في الحزام المكتوب بالفرنسية ، المجلد السابع، العدد ١، يناير ٢٠١٨، ص ص ١٧٧-٢١١.

ترجمته سكتت وأضافت واختصرت كثيراً من مقاطع الرواية المترجم عنها. لقد تقمص الكاتب في ترجمته، دور الرقيب ليصبح رقيباً ذاتياً لما يترجم، وسكت أو تجاهل عما أفصح عنه في اللغة الفرنسية وعن بعض تعابيرها وجملها التي لا تهم القارئ الغربي. اعتمد الكاتب على عامل الإثارة والخيال الجامح كسفره ومغامراته في الريف الذي عاش فيه وفي مدينة أبها وباريس، وتمكن من إيقاظ القرية من ذاكرته وتوثيق عاداتها وتقاليدها، فخلق أسطورةً أكثر مما تحتمله الرواية نفسها وبما يتناسب مع ثقافة الشعوب الفرنسية والعربية.

كما أوجد الكاتب أبو دهمان للمرأة موضعا جميلا ومشرقا في روايته، حيث أشبع القراء بحضورها وقوتها الأسطورية الخارقة، فكانت شخصية أمه المحرك الرئيس لذلك الحضور، من خلال مجموعة القيم الجميلة التي تمثلها في قريتها التي عشقها الكاتب وعاش فيها، فأصبحت الأم ذاكرة القرية والقبيلة والمجتمع.

الكلمات الدالة :

الغوص، الحزام، فرنكفوني

Abstract:

The French theater has witnessed an abundant literary production out of French prominent writers, travelers and thinkers who in turn influenced in thinkers and writers of nations under the French colonialism. Writers from the colonies wrote the exquisite text (Exotique) in the language of the French colonist, most specifically during the second half of the 20th century.

The Saudi Francophone writer Ahmed Abodehman has been influenced by Moroccan Francophone writers. He attempted to follow

their steps by presenting a different picture of the Saudi society through his novel The Belt.

Abodehman has concentrated his narrative context, in an attempt to lure Western readers, and struggled to unlock stories from the closed, conservative society taking it towards a global level. This has led to the success of his stories through various reprints of the novel and in many different languages. The novel has created a different innovation in its narration, new concepts and different interpretations. The writer retrospectively presented his memories in an attractive template to prove that living with others is possible. Since the novel was published, the author has discovered that he has many friends and relatives throughout the world who in essence are similar to the people of his village despite their different languages and cultures.

The novelist Abodehman translated his novel to Arabic and there is an enrichment of the human experience in the translation. However, the translation has skipped parts while adding others. It has summarized many parts of the original novel as well. The novelist in effect has taken the role of the censor, or self-censor by skipping and ignoring what he expressed in the original novel. Certain expressions and details were skipped probably because they were of no interest to the Arabic reader. The novelist focused on excitement and imagination such as when he described his travels, his rural life in Abha and its contrast to his life in Paris. He somehow managed to reincarnate the village along with its traditions and culture creating a legend more capable than a novel can encompass in a way that suits both French and Arabic cultures.

Abodehman also created a proper and beautiful position for the woman in the novel, in which he satisfied the readers with her presence and legendary powers. The character of his mother was the engine behind this presence, along with the beautiful ethics represented by the village where he comes from and loves. In effect, the mother has become the memory of the village, the tribe and the society.

Keywords:

Sinking, Belt, Francophone

خلال أربعة قرون مضت ومع تطور مختلف العلوم عبر المكان والزمان، شهدت الساحة الفرنسية إنتاجًا أدبيًا ضخمًا، سطرها عبر التاريخ كبار الكُتاب والرحالة والمفكرين الفرنسيين. كما كان لفرنسا ومازال تأثير ثقافي بارز خاصة في العلوم والآداب والفن...، كما أثرت فرنسا وأُشهر مفكريها وأدباءها على الكثير من الشعوب التي استعمروها لا سيما في القرنين الماضيين.

تمخض هذا الاستعمار عن ولادة جديدة لأفراد هذه البلاد، أسهموا في كتابة إنتاجهم الفكري بلغة المستعمر، وهؤلاء يعرفون بالمؤلفين الجدد فيما بعد الفرانكفونيين في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف ألسنتهم وألوانهم... لقد خرج من بين هؤلاء المفكرين من أهتم بالأدب عموما، حيث نشأ ما يسمى بالأدب الفرانكفوني مع مطلع القرن التاسع عشر وذلك بنقل الثروة المحلية الشفهية الحكائية (Le patrimoine oral) للبلاد المستعمرة، وإعادة صياغتها بلغة (الآخر) المستعمر الفرنسي. أزدهر هذا الأدب خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين ونتج عنه مئات المؤلفات وما زال كذلك.

لقد كان من بين تلك المؤلفات روايات ذات أصول عربية ومكتوبة باللغة الفرنسية، وقد اعتمدت معظم تلك الروايات على تعدد المشاهد التي ترحل بمشاعر وخيال القارئ الفرانكفوني دونما حدود للتقنيات الأدبية أو لتذوق اللغة المكتوبة بها. كما حمل كل نص

مكتوب باللغة الفرنسية إرثًا وصورًا من البلاد المنقولة عنها إلى عوالم غرائبية جذابة دعت القارئ الآخر للترحال عبر صفحاتها. هذه الألوان والصور الفنية التي رحلت عبر لغة الراوي (المترجم عن تراثه)، لا تلبث أن تستقر في دفات رواية أو قصة قصيرة أو فن من فنون الأدب. عدد من هذه النصوص لا ترتبط مع الآخر إلا برابط اللغة، وقد تحمل تلك اللغة المكتوبة سطورها الكثير من المعاني لتقدم صورًا أنثربولوجيةً واجتماعيةً مكثفة منقولة، تجعل المتلقي الغربي يصغي ويستمتع بتفحصها أكثر مما يصغي إلى اللغة المستخدمة ذاتها.

وتجدر الإشارة إلى أن المستعمر الفرنسي قد رحل منذ عقود، أما الكتابة باللغة ذاتها فقد استمرت لتكون واقعًا ثقافيًّا امتد في عالمنا العربي من سوريا ولبنان شرقا إلى المغرب وموريتانيا غربا. لقد أصبحت الكتابة باللغة الفرنسية جزءاً من الإرث أو أنها "غنيمة حرب" كما يسميها الكاتب الجزائري كاتب ياسين أو "منفى" كما سماها مالك حداد، ولكنها استغلت للإثراء الثقافي لبعض المجتمعات. كما تعد اللغة الفرنسية عند بعض الكتاب الفرانكفونيين وسيلة سريعة للوصول إلى خارج الحدود وربما للإثراء أو ربما للبحث وجذب "قراء الشمس والجنس."[1]

كما يعتقد الطاهر وطار... ويتساءل البعض عن أين يمكن تصنيف هوية هذه الكتابات: أهي عربية أم فرنسية؟ يعتقد البعض أنها مجرد أعمال أدبية مترجمة إلى الفرنسية، ويعتقد البعض الآخر أنها تندرج تحت "أدب الاستشراق". وهناك من يبرر إنتاج بعض الكتاب الفرانكفونيين العرب، ويعتقد بأن هروبهم للفرنسية كان خوفا من مقص الرقيب المتربص الذي يعمل على تشويه أعمالهم ويتجاهل اعتمادها وقبولها وتسجيلها، بل ويسعى لمصادرتها بالرفض وعدم قبول عرضها في المكتبات المحلية.

أما بعض الكتاب الفرانكفونيين عموما والعرب بالذات، وبحكم إجادتهم للغة الفرنسية، ما زال يسبح في مفردات اللغة الفرنسية وفن توظيفها بوصفها أداة ثرية وتعبيرية راقية، ويعتقدون أن بعض أعمالهم بالعربية لا تقرأ إلا بعد ترجمتها عن الفرنسية! ويضربون مثالا بتجربة الروائي المغربي محمد شكري مؤلف رواية "الخبز الحافي"[2] الذي لم يعرف الشهرة طيلة عشرة أعوام كاملة إلا بعد ترجمة روايته للغة المستعمر ونشرها في

واحدة من أكبر دور النشر الفرنسية. لذلك وبمجرد أن قرر نشرها خارج الحدود وبلغة الفرنجة، تسابقت عليها دور النشر الفرنسية والقراء. لقد كان هذا التحدي حافزا ايجابيا لمحمد شكري مما أجبره على إعادة كتابتها بالعربية؛ لتصبح روايته مثارا للضجة والجدل وذلك في بداية الثمانينيات من القرن المنصرم. وهكذا بقي صدى هذه الرواية مكانا للنقد والتحليل لدى كبار النقاد. وتأكيدا لما سبق، تعد اللغة الفرنسية عند بعض الكتاب بمثابة "جواز مرور" ساعدت البعض بنقل إنتاجهم للعالمية لتعود بالفائدة عليهم محليا، وبهذا يصبح للكاتب اسما وقيمة محلية، بعد شهرته، مما يؤكد لنا المقولة المزعومة بأن: "زامر الحي لا يطرب".

إضافة لذلك، نجد أن عددا من الكتابات باللغة الفرنسية تثير "إشكالية الهوية الوطنية والاندماج في ثقافة وهوية الآخر"[٣]، حيث يواجه بعض الفرانكفونيين العرب تهمة الانسلاخ من الهوية والوجدان، ويعتقد بعض النقاد العرب بأن ثقافتهم ووجدانهم قد ذاب في الوجدان الفرنسي ومفردات ثقافته. وهنا يمكن أن نشير للكاتب المغربي طاهر بن جلون، الذي أثارت بداية كتاباته ومؤلفاته حفيظة النقاد المغاربة، واستمر البعض كذلك إلى أن أعلن بن جلون عبر رواياته وسرده لكثير من الحكايات والمواقف المغاربية الصرفة، وكانت إشاراته للواقع المغاربي عامل انتصار للوجدان والهوية المغربية، سردها بن جلون في قالب إبداعي بديع مستخدما اللغة الفرنسية كوسيلة وأداة لتوصيل معارفه وثقافة بيئته. إلا أنه ومن جهة أخرى، يبرر بعض الفرانكفونيين بأن الأدب المكتوب بالفرنسية ما كان ليجد طريقا إلى كبرى دور النشر كـ (غاليمار) وغيرها، التي تحقق للكتاب باللغة الفرنسية شهرة ومجداً وثراء لا سيما إن كان كاتبا مغمورا، أو كاتبا لم يذق طوال الشهرة حياته ، لولا اغتراب المكان والزمان والوجدان.

ومما سبق يتضح أن كثيرا من المؤلفات تجد رواجا كبيرًا في الغرب لا سيما في المحيط الفرنسي، أكثر مما تجده في بلد الكاتب نفسه، لما تحمله هذه المؤلفات، من معان ومشاهد وحكايات شعبية وأسطورية وأمثلة وحكماً تسترعي انتباه النقاد والقراء لكل ما هو غرائبي (Exotique)[٤]

وجديد. واتخذت هذه الظاهرة قيمةً في فرنسا طوال النصف الثاني من القرن العشرين، وازداد انتشارها، في الثمانينيات والتسعينيات من نفس القرن. وانطلاقا مما سردناه نجد أن الكاتب الفرانكفوني السعودي أحمد أبو دهمان قد تأثر ببعض الكتاب الفرانكفونيين من المغرب العربي كالطاهر بن جلون وإدريس شراييبي ورشيد بو جدرة وغيرهم ممن كان يكتب عن المجتمع المغاربي وحياتهم اليومية ذات المجتمعات والثقافات المحافظة. كما حاول أبو دهمان السير على نفس خطى السير، وبتعرية كل ما هو محظور وممتنع على الأجنبي... فكثف السياق الحكائي؛ لجذب القارئ الغربي، كما اجتهد من خلال روايته الأولى (الحزام)، في فتح تلك المجتمعات المغلقة المحافظة نحو العالمية وإرضاء حب الاستطلاع الغربي[٥]

اشتهرت رواية أبو دهمان بعد نشرها مباشرة وصنعت للكاتب مجدا من خلال نشرها وإعادة نشرها عدة مرات وذلك بعد أن تركت الرواية كغيرها من الروايات كالمغاربية مثلا، إبداعا مختلفا في طرحه، وبأفكار جديدة وقراءات متعددة ومصالح معتمدة في معظمها، على الموارد المادية البحتة وسرعة الانتشار، مما شجع الكثير من المؤلفين والمفكرين العرب (الفرانكفونيين) على الإنتاج في الغرب وبغزارة.

تعايش القارئ الفرانكفوني مغتربًا في قرية حزام البطل:

لرواية "الحزام" التي نحن بصدد قراءتها، عوالم تشابه تلك التي خرجت من المغرب العربي وغرب أفريقيا وبعض الدول الفرانكفونية والمحميات الفرنسية. تحمل تلك النصوص في طياتها مدلولات متعددة، وخروج عن المألوف، بحيث تستدعي عند قراءتها إثارة القارئ الفرانكفوني. وإذا ما تتبعنا الفرنسيين اليوم، فإن غالبيتهم يَدّعِي أن أي أدب فرانكفوني كُتب بالفرنسية يعد فرنسيا بحتا، وهذا ما قررته تصنيفات معظم المكتبات الفرنسية في السنوات الأخيرة، أما في السابق فقد كانت المكتبات تفصل بين مؤلفات الكُتاب الفرنسيين الفرانكفونيين بأرفف مختلفة. بينما يؤكد الكتاب

الفرانكفونيين أنفسهم بأن راويتهم المكتوبة باللغة الفرنسية ومن بينها رواية "الـحـزام"، ليست إلا جزءا من أدب شعوبهم الأصلية، وليست اللغة الفرنسية إلا واسطة ووسيلة لتوصيل هذا الأدب إلى العالمية والمحافظة على تراث الشعوب. وهذا ما نجده في إهداء أبو دهمان لروايته عندما قال في طبعتها الفرنسية:(إلى مملكتي العربية [A Mon Arabie] وإلى كل قراء العالم). [٦]

نعم، يمكن لأي كاتب أن ينقل من ثقافته وأدبه وتراثه المحلي والحكـائي في غالبـه إلى أي لغة أخرى، ويلعب هذا النقل دورًا مهمًّا في استخدام المصطلحات المحلية والمنقولـة، ليثري بدوره أي أدب منقول إليه بلغته كتلك التي نقلت للأدب الفرنسي. وهذا الأخير، يمنح ما نقل إليه من آداب الشعوب صفة العالمية عبر النشر والتوزيع. ومما لا شك فيـه، أن كاتبنا أبو دهمان قد تأثر بمن حوله مـن الكتـاب الفرانكفـونيين متعـددي الجنسـيات والأعراق والديانات ومنهم كتـاب المغـرب العـربي الـذين أنتجـوا في فرنسـا، ومـازال بعضهم كذلك، ممن قوبلت كتابات غالبيتهم وأعمالهم الأدبية والمختلفة بالتشجيع المادي والمعنوي من قبل الجهات الرسمية، وكذا مشاركة الجمهور بالإقبـال المتزايـد عـلى شراء مؤلفاتهم.

و"الـحـزام"، هذا النص الذي حضي بهالة إعلامية ضخمة في فرنسـا وعنـد المثقفـين السعوديين رواية للكاتب السعودي أحمد أبو دهمان، نشرتها دار غاليمار[٧]وهي ذات مكانة كبيرة في فرنسا. نشرت هذه الدار رواية أبو دهمان، فأقبل الكثير عليها وعلى اقتنائها. كـما شُـجِعَ كاتبنا كثيراً مِمَنْ يُحِيطون به على كتابـة قريتـه وتقـديمها للجمهـور الفرانكفـوني. ولزوجة أبو دهمان وابنته التي أشار لهما في روايته ومقابلاته، دورًا مهمًّا لعبًا فيـه كبطلتـين ساعدتا على نقل ما أراد البوح به لهما من موروث عاش بداخله لأكثر من أربعين سنة. كما خلق هذا النص الأسطوري الحكائي في معظمه، وما جَمَعَهُ المؤلف من صـور وحكايـات للشعوب الغربية عوالم غرائبية مكنت الكثير من اقتنائها، واستقبالها بحفاوة لا مثيل لها في فرنسا خاصة، حيث أشاد بها القراء والنقاد. لقد توج بطل "الحزام"، كاتب الرواية أحمـد أبو دهمان الذي فضل أن يُلقب بـ (الشاعر) طوال فصول روايتـه. إضـافة لـذلك، روج

زملاء الكاتب إضافة لذلك، هذه الرواية عبر ما كتب عنها في بعض الصحف السعودية المحلية وعبر استضافات متعددة للكاتب في مراكز مختلفة بالمملكة العربية السعودية وخارجها، وساعد على نشرها وترجمتها ما أقيم للكاتب من ندوات عبر السفارات والقنصليات الفرنسية والصالونات الأدبية الخاصة والعامة هنا وهناك.

وهكذا نالت قرية آل خلف بقحطان بعسير بجنوب المملكة العربية السعودية، مسقط رأس كاتب (الحزام) شهرة واسعة. ونتيجة لحب الاستطلاع والتعرف على تفاصيل ما ذكره الكاتب عن عوالم تلك القرية الهادئة على سفح الجبل، بحيث كانت القرية رمزا لما عرف عن الوطن كاملا من صور نمطية بقيت عالقة في الأذهان: ذلك البلد الصحراوي الذي يسكنه مجموعة من البدو يسعون خلف جمالهم للبحث عن الماء والكلأ. إلا أن الكاتب أبرز صورةً أخرى لمسقط رأسه، بل للمجتمع السعودي قاطبة، عبر إشارات ممثلة في قريته.

كما شكل أبو دهمان روايته باستخدام ما يحيط بالقرية من الأحزمة التي تمثل عدد الجبال التي تتشكل كدوائر محاطة بمجموعة من الجبال الأخرى، وبما يشبه الحزام المشدود حول خاصرة الرجال حاملا خناجرهم كذا وسط المرأة كدلالة اجتماعية لكل ما يحيط بهم في حياتهم اليومية. وقد جسد لف الحزام حول خاصرة الجسد في القرى الجنوبية في الجزيرة العربية في ذلك الزمن، رجولة الرجل وجمال خاصرة نساء القرى. وتمثل رواية "الحزام" دلالات أخرى مختلفة، فمنها ما يشبه الجبال التي تحيط بالقرية وسكانها كالحزام، وقد يكون "الحزام" مجموعة العادات والتقاليد والمفاهيم المنغلقة التي يصعب التخلي عنها! ويمكن أن نشير إلى أن "الحزام" هو عصابة الرأس كذلك في المنطقة (المكانية) للكاتب ذاته، جنوب المملكة، وهذه العصابة مكونة من الأعشاب الجبلية المختلفة المكونة من الورود والرياحين والأزهار الجبلية العطرية ذات الرائحة الزكية غالبا، والتي توضع على رأس الرجل أو المرأة على حد سواء.[٨] كما يمكن أن نذهب في تحليلنا إلى أن "الحزام" هو ما نحيط به الرأس في الزِّي السعودي المحلي اليوم، أو ما نسميه بـ (العِقال).

ويسرد أبو دهمان حكايته عرفانًا وحبًّا وتعلقًا واشتياقًا لقريته ووطنه وهو يصرح قائلا: "لبلادي، لكل القرى في العالم"،[٩] ويفتخر بأصله وبنسبه الذي لا يعني شيئا لقارئ الرواية الغربي، في قوله: "من لا يعرف نسبه لا يرفع صوته"[١٠] ؛ ليغوص في عمق التاريخ والإرث الحضاري والثقافي العربي. عرف بنفسه في سرد عدد من الأسماء ليحمي نسبه من النسيان مضمنا ذلك اسم قبيلته، ويذكر بما تعلمه من قريته، وما بقي فيها من طقوس وقيم سواء كانت إيجابية أم سلبية. دعا الكاتب جميع القراء لتتبع حياته منذ الطفولة وفتح أرشيف ذاكرته المشبعة بالآمال والآلام، حيث استعرض ماضيه كنهر جار أو فيلم سينمائي جذاب بجميع مشاهده ومكوناته المفرحة منها والمحزنة.

حزام أيضا هو ذلك الأب الذي يمثل القرية كاملة... و"حزام" هو شخصية الرواية البطل وحكيم القرية المتمسك بالعادات والتقاليد، وهو كذلك أب أو عم لجميع أبناء القرية، كما يمثل كذلك تراث القرية. لقد دعا ويدعوا "حزام" للمحافظة على تراثه وثقافته وإرث آبائه وأجداده حتى آخر يوم في حياته حيث حينها ورَّث الكاتب أبو دهمان خنجره ليحمل عوضاً عنه الراية ويواصل المسير... وهذا حزام الثاني (أبو دهمان) بدوره يُحَمّل المسئولية للعالم بأسره لنحمل معه جميعنا، كقراء هَم هذه الأمانة التي رصدها في مؤلفه عن التراث ولتبقى قريته رمزا للماضي وعلامةً مميزةً وحاضرةً في ذاكرة الجميع... لقد أوقعنا الكاتب في حيرة حيث اختار (الحزام) عنوانا لروايته ذات الدلالات المتعددة وحمالة أوجه.

وعليه استحث الكاتب جميع قرائه بالمحافظة على هذه القرية النائية في جنوب الجزيرة العربية، وقد أشار الكاتب إلى وطنه تاريخيًا وجغرافيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا في إشارات يمكن أن نستنتجها ولكنها في كثير من الأحيان خاطفة، تسمح لنا باستنتاجها بحيث نجد لكل رمز أو إشارة معناها: فالعاصمة الرياض هي ما يمكن أن نرمز له ببطن الأم والأم. أما المؤسس فهو مؤسس المملكة الملك عبدالعزيز، ذلك الرجل الذي لا يموت أبداً في قلوب محبيه وشعبه... وهكذا... وقد أكد الكاتب بأن ذلك الرجل الرمز في القرية هو ذلك الرمز للوطن الذي لا يموت ولا يندثر ذكره فـ(الرجال الكبار لا يموتون أبدًا).[١١]

وتصور رواية (الحزام) الحياة في قرية مهد طفولة الكاتب التي أمضى فيها أيام طفولته قبل أن يهاجر هجرتان: كانت الأولى داخلية، وذلك عندما انتقل لمدينة أبها القريبة من قريته، التي اكتشف فيها الحياة الأخرى للمدينة، وذلك خلال مواصلة دراسته فيها، ثم ما لبث أن هاجر هجرة محلية أخرى ولكنها كانت بعيدة عن مسقط راسة، إنها هجرته إلى العاصمة الرياض، حيث واصل دراسته الجامعية العليا، ومن هذه العاصمة ونتيجة تفوقه، هاجر هجرته الثانية للخارج باتجاه فرنسا حيث تلقى تعليمه ومكث فيها ردحا من الزمن.

تصور الرواية أيضا، كيف أن الكاتب اشتاق لقريته وموطنه الذي ترعرع فيه ونزع نحو الحنين، وهو شيء طبيعي بل وفطري، فقد عرف في الأدب أن كثيرا من أدباء الريف يتمسكون بريفهم، ويحنون للعيش فيه حبا في استعادة ذكرياتهم الخالدة. كما عرف عن طبيعة أدباء الريف كذلك، اصطدامهم بمظاهر المدنيّة وما فيها من مظاهر غير مألوفة وغير قابلة للتأقلم معها في كثير من الأحيان ، وهذا ما يثير العودة لصور الطفولة والماضي الجميل في أذهانهم كما يعتقدون. وببراءة الطفولة يعوض الكاتب صوره الحياتية بطريقته الرومانسية الحالمة التي يستعيد فيها كل الماضي بكل أمكنته وشخوصه. وتبقى المدينة في مخيلة بعض هؤلاء الكتاب مدعاة للغربة، ومهيجا للذكريات والتمزّق والصّخب والفوضى والسعي بلهث وراء المادّة والشهرة.

كما تنقلب المدينة في مخيلة الكاتب لتصبح رمزا للضّياع والقلق وذبول المشاعر، وأحيانا النفور من الناس واللجوء للعزلة. ومن هذا فقد عاد الكاتب أبو دهمان بذاكرته إلى الوراء وسردها في قالب جذاب ليتمكن من العيش والتعايش مع الآخرين. ومن خلال نشر روايته اكتشف الكاتب أن له أقارب وأبناء عمومة وأصدقاء في أرجاء الدنيا، يشبهون كثيرا أهل قريته يتحدثون معه ويشكون إليه اغترابهم وما يخالجهم من ذكريات وينقلون ذاكرته وبلغاتهم ولهجاتهم وثقافاتهم المتعددة إلى بلادهم... ولا ينسى أحمد أبو دهمان في إحدى لقاءاته أن ينبهنا لقول تلك القارئة المغربية التي عبرت له بعد قراءتها لروايته بقولها: "هذه ذاكرتنا ردت إلينا."[١٢]

وهكذا أستدعى أبو دهمان قريته من مخيلته وأعاد صياغتها لتتلاءم مع المكان والزمان الجديدين للكاتب نفسه، وفضل ذلك عما يراه في فرنسا اليوم من آثار حتى أصبح كما قال: (على يقين من أن الآثار التي أحملها على جسدي تفوق في عمرها وقيمتها العلمية كثيراً من آثارهم.) [١٣] لقد أستعاد أبو دهمان قريته من مخيلته لتصبح مكتوبةً وموثقة في روايته. ضَخم المؤلف ما أراد أن يُضخمه منها وهو يوقظها من ذاكرته، وتجاهل كثيراً من عناصرها كما أراد لها ذلك. وعودتهُ للقرية يمكن أن نستنتجها من مقاطع مختلفة ومن كلماته التي قال فيها: (عدت إلى قريتي، تلك القصيدة التي كتبوها عبر آلاف السنين). [١٤] وعند ترجمته لبعض المقاطع قبل صدورها بشكلها النهائي، كانت ملاحظة حزام الحكيم له دقيقة وهو يقرأ من اليسار إلى اليمين وسعد بحزام الراوي الذي تمكن من رؤية "العالم من طرفيه." [١٥]

كان الكاتب يبحث في قرية اليوم عن معالم الأمس كبحث المغترب عن الآثار والمعالم الخاصة ببلده في بلد الآخر... أما الحنين إلى الوطن (Nostalgie / mal du pays) فكلنا يعرف أننا لا نتذكر ولا نشعر بالحنين إلى بلادنا ونحن بها، وما نتمنى العودة إليها ونحنُ لها إلا عندما نغادرها للعيش بغيرها. هكذا نجد بطل روايتنا بعد هذه السنين من الغربة، يعود للبحث عن قريته في الذاكر فهي كالجنة المفقودة، ليحملنا هم عودته حيث "بدأت رائحة القرية تقترب..."، وتألمنا معه وهو يئن قائلا: "آه كم كان البعد فظاً وبشعاً". [١٦] وأحسسنا بتألمه وهو يتذكر قائلاً: "آه يا حزام، آه يا قريتي." [١٧] (Oh Hizam, oh mon village!). [١٨]

وبحكم الغربة الطويلة نجد الكاتب في كل زيارة يشعر بالوحدة ويبقى منعزلًا عن مجتمعه لا سيما بعد موت حكيم القرية ورمزها: حزام الذي بموته غاب تراث القرية كمغيب الشمس. لقد تفشى سر القرية بعد موت البطل واخترق المحرم وافتضح الأمر زيادة بعد نشر هذه الرواية التي جعلت للقرية مكانة عالية يصعد إليها المطر بدلًا من أن ينزل. [١٩] ويؤكد الكاتب تعلقه بقريته في مقابلة مطولة بصحيفة "الوطن" حيث يقول: "عندما عشت في باريس شعرت كأنني أعيش داخل وطني ووسط قريتي ، فكانت مجمل قراءاتي وأبحاثي منصبة على التعرف على تاريخ بلدي أكثر." ويضيف: "وما أعنيه هنا

أنني في باريس تمكنت من كتابة خصائص قريتي وما يدور في خاطري، ولا أعتقد أنني كنت سأكتبها لو كنت وقتها أعيش في قريتي.. كان يجب أن أبتعد عنها قليلاً لكي أراها أكثر، وبصورة أفضل، وهذا يعني أنني لم أغادر قريتي إلا بجسدي فقط وظل عقلي ووجداني فيها." [٢٠]

لقد اختلف كل شيء، كما أصبحت آل خلف قرية صالحة للكتابة، وهذه بدورها وصلت سمعتها إلى العالمية من خلال ما كتب عنها أبو دهمان في الرواية. والقرية المكتوبة كما نعتقد هي: فخر احمد أبو دهمان، هذا الذي احتل محل حزام وأجبره في نهاية الرواية بالتخلي عن منصبة بعد أن ذاع صيته وانتشر سره فمات. لم يقاوم حزام ذلك العار فمات وأصبح من المستحيل أن يبقى حزامين في القرية الواحدة، فعاش حزام الثاني (الراوي)، وخوفا من ضياع قريته اختار أن يكتب عنها ولها. حافظ الكاتب الراوي على قريته وربما رمزا لدولته بسردها في رواية مكتوبة وخالدة.

كما أوضحنا من قبل، نؤكد أن مرض حزام وموته في نهاية الرواية ليس إلا مرض القرية، ونهاية ذاكرتها وارثها. فها هو حزام يتمرد على المجتمع والقبيلة ويتغير ويُجبر الجميع على الخروج عن المألوف فيتخلى عن الحزام والخنجر ويوصي بهما للمؤلف والذي بدوره يقوم بتعليقهما في منزله بالقرب من متحف اللوفر بباريس بدلا من لبسهما في خاصرته. موت حزام البطل مثال للموت الاجتماعي على حد قول الراوي. لقد تغير كل شيء فأصبحت القرية أو الدولة مهددة بالغزو الحضاري، ومع هذا لم يخبرنا الكاتب عن كل عيوب قرية اليوم. لقد كتب المؤلف وكان على يقين بأنه يشبه قريته ولا يمكن أن يكشف، (عن بعض الصمت...) [٢١]

لقد عشق أبو دهمان قريته، وهام بها وتعلق بحبها وحب ساكنيها، وترسخت ذكراها في أعماقه. لقد قدمها لنا أبو دهمان كذاكرة مشرقة حيث التقط لها عدة صور جميلة من خلال حياة القبيلة، والمدينة، وما يعتري العيش فيها من أمور طريفة وأخرى محزنة. لقد ظل الكاتب "وفيًّا لمخزونه الثقافي وإرثه الحضاري، فقد فرضت قريته العربية بتراثها، سيطرتها على تفكيره وثقافته، ليس في كتاباته فقط، بل وفي سلوكه، وأحاديثه مع أصدقائه الفرنسيين، وهذا سر أصالة الكاتب وأصالة إبداعه، وبغير إرثه الحضاري الذي

يتمسّك به، لم يكن لينجح في إبداعه، فقد ظل عربيًّا بملامح فكره، وفيًا لكل تخوم جغرافية نفسه وعقله..."[٢٢]

ومما سبق نستنتج بأن القرية حمالة أوجه يمكن أن نستنتج من رموزها بإيجاز فيما يلي:

١- القرية: ممثلة (في العائلة) وفي الأم التي بدورها تمثل سر القرية والغناء، هذه المرأة تساوي الحجاب أو الستر، وهي بدورها تمثل السر (المحرم/ المقدس Tabou) بينما "الحزام" لا يمثل على حد قوله إلا: "إفشاء السر."[٢٣] فـ "الحزام يكشف"[٢٤] السر كما يقول الكاتب.

٢- القرية هي المكان الذي ترعرع فيه الكاتب، وهو بَلد الكاتب أو عائلته أو الدولة السعودية (الوطن)،[٢٥] وقد أصبحت القرية قريتان: قرية الطفولة أو الواقع المعاش وقرية الحلم / الشعر.

٣- القرية ترمز كذلك للدولة كاملة بتراثها ونشأتها وظروفها وبراءة أهلها وسكانها ومجتمعها القديم. لقد عاشت الدولة بساطة العيش بشكل مختلف عما يعيشه مجتمع اليوم الذي نعته الكاتب بـ (خيانته لعادات القرية وتقاليدها...)[٢٦]، ثم تحدث في فقرة أخرى عن فقدان المجتمع لكثير من عاداته وتقاليده ولم يبق إلا النذر اليسير منهم حيث يقول: "اختفت القرية ولم يبق لي إلا حزام."[٢٧] في إشارة إلى ذلك الحكيم المحافظ على العادات أو المتصلب والمتمسك بعاداته وتقاليد قبيلته كما يعتقد البعض.

جمع المؤلف مجموعه من المتع منها: الرغبة في احتضان القرية،[٢٨] والاستمتاع بها وبطبيعتها الجغرافية بين الجبال، كما احتضن القرية بنسائها وبغرائزها الجنسية ممثلةً في الشمس وهي تشرب جميع ماء الأرض عند الغروب... كما حدث الكاتب قراءه وفي أساطير متعددة، عن فقده للغناء وجميع مظاهر الحياة الطبيعية كما فقد العشق وقوس قزح وتزاوج النجوم بالأشجار ذات الألوان المتعددة؛ إذ نجدها في كل مكان وكل سفح وبآلاف الروائح العطرة، وتحمل كل رائحة زكيه آلاف الروائح... إنه العطر والألوان وصعود المطر وولادة الشعر.[٢٩]

نجد الكاتب أبو دهمان، يربط بين فصول روايته كالكثير من الكتاب العرب والغربيين. لقد ربط بين كل قصه وأخرى كما ربطت شهرزاد بين حكاياتها لأكثر من ألف ليلة، متحايلة بذلك على الملك كي تبقى حية ترزق. كذلك، بنى أبو دهمان روايته كما كانت شهرزاد تبني الحكاية داخل الحكاية (Récit dans le récit). هذا بالفعل ما فعله بطل روايتنا ومؤلفها عندما نقل الأدوَار بين كل راوية وآخر وما بين كل حكاية وأخرى. فالراوية بطل وله طريقته ولكل شخصية ممن أوردهم بالرواية نهج يستعرض فيه عرض حكايته لا سيما تلك التي تتعلق ببطل القرية والرواية وشخوصها، كحكايات السويدي[٣٠] الذي أشعل القرية بحكاياته الأسطورية وعجائبه.[٣١] وحكاية هذا الأخير، مثلها مثل حكايات رجل العاصمة وحكايات الأم والأخت وبنت العم والأب وحزام وغيرها الكثير... وكل هذه الحكايات تجعلنا نعتقد أن الكاتب قد تأثر كذلك بقصص "ألف ليله وليله" كما تأثر الأدب الفرنسي بذلك في بداية القرن الثامن عشر.

(الحزام) الرواية المترجمة والمنقولة مشوهة عن لغة الآخر:

تدعونا رواية "الحزام" لمتابعة حكايات متعددة ومواضيع حكايات متنوعة تثير رغبة القراء الغربيين في معرفة الواقع المعاش، ونتيجة تعدد الطرح يمكن أن نخصص عناصر كل فكرة لدراسات مطورة تشمل تحليل كامل الرواية ومعرفة دلالاتها الاجتماعية والنفسية والسياسية... استتر بعضها بعوامل الفن والتورية. ومع هذا، فما سبق في هذه الدراسة، من طرح ليس إلا تمهيدًا لما هو خاص بإلقاء الضوء على ترجمة النص من قبل الكاتب ذاته إلى لغته الأم، اللغة العربية. ترجم الروائي أبو دهمان، روايته إلى العربية وفي الترجمة كما هو الواقع، إثراء للفكر الإنساني، إلا أن ترجمة أحمد أبو دهمان بدت تسكت أو تضيف أو تختصر في كثير من مقاطع الرواية المترجم عنها.

بعد الاطلاع على رواية "الحزام" المكتوبة بالفرنسية وقراءتها عدة مرات، وقراءة النص المترجم عنها إلى العربية، اتضح لنا أن مؤلف الرواية الأولى عبر بشكل مختلف كثيرا عن مقاطع رواية الحزام الأم المترجمة للعربية، ونعتقد كآخرين بأن كتابة الرواية قد

أعيدت بصياغة تتلاءم مع قراءها العرب، وكما عبر عنه في روايته المترجمة. فنجد أمثلة كثيرة تدلنا على أن الترجمة قد أدخل عليها كثيرًا من الشرح والتحسين. وبعد قراءة النصين الفرنسي والعربي أنشأنا جدولا يضم قائمة من الرصد لمعظم الكلمات والجمل والمقاطع بين النسختين. كما خصصنا عمودًا للملاحظات المتعلقة بترجمة أبو دهمان ذاتها. كما استنتجنا أثناء القراءة بأننا ومما لا شك فيه نقدر للمترجم / المؤلف إذا أردنا ذلك، فنه ومهارته في ترجمته لبعض المقاطع بصياغة حاول فيها أن يحترم قارئه العربي عموما، وأبناء جلدته على وجه الخصوص. لقد تساءلنا أثناء القراءة والتحليل، بأن المترجم قد تجاوز بعض الصعوبات بإجاد صياغة مناسبة تتماشى مع فحوى النص الأصلي.[٣٢]

الرواية الأصل (الفرنسية)	الصفحة	الرواية مترجمة للعربية	ص	ملحوظة
ولهذا فضلت أمي وآدم	٩	ولهذا فضلت آدم بدلًا من قحطان	٩	
أنا من السعوديين النادرين اليوم الذين يستطيعون أن يتغنوا بشجرة أنسا بهم عن ظهر قلب...	٩	.....		
عن جرمن تيلون في كتاب: الحريم وأولاد العم: "عرفت الجزيرة الختان"...	٩	اكتشفت فيما بعد أن الجزيرة عرفت الختان ...	١٠	
القبيلة...	٩	المناطق النائية ...	١٠	
.....		وكنا نسمع أن مناطق أكثر	١٠	

.		منا نائيًا		
وهذه الطريقة من الختان في طفولتي وشبابي تعود إلى ما قبل التاريخ...	١٠	.....		
كنت أقول السلام لكل الناس.....وحتى في المترو وواصلت أقول ذلك ولكن بصوت منخفض	١٠	..... .		
أريد أن أقتسم كل شيء كهذا القطار الذي يوصلني إلى بيزانسون...	١٠	.....		
اشتريت سندوتش خنزير معتقدا أنه كعك وقال لي أحدهم انه خنزير فواصلت الأكل...	١٠	.....		اعتمد أسلوب الإضحاك على الطريقة الفرنسية...
[يحكي الكاتب قصة دراسته في فرنسا وكيف أتيحت له فرصة الابتعاث] "إلى أمريكا أو بريطانيا أو ألمانيا أو أسبانيا ففضل [في حد	١٠	.....		

قوله:] فرنسا بلد الوار وأراغون وبريفير ولأكتب روايتي كأول كاتب سعودي يكتب بالفرنسية بل ومن شبه الجزيرة العربية والذي أسعد بعض الفرنسيين وأغضب بعض العرب. [ثم يضيف:] "الكتابة بالنسبة لي تعني المشاركة واختلاق عوالم جديدة." [ويبين الكاتب: انه عرف قريته في باريس لأنه في حد قوله:] "لم يكن إلا شاعرا وشيء لا يذكر في جسم كبير بل كسلالة أو خلية في عيون أفراد القبيلة." [أما باريس فقد صنعت منه رجلا كاملا بل ولقد فَهِمَته]:"بل وفهمونا أكثر من أنفسنا."				
"يا الهي! أستر إلى الأبد	١٣	يا رب سترك في الدنيا	١٥	ترجمة

أسراري وأسرار عائلتي..."		والآخرة		تتناسب مع النسق الثقافي
ولكني بدوري سأموت، وعليك أن تخلفني	١٤	لكني بدوري سأموت، وليس بعدي سواك يا روحي ويقيني	١٦	
بلا رئيس	١٦	بلا شيخ	١٨	
أرملة	٢٠	فقدت زوجها منذ سنين	٢٢	
.....		وأنها ليست زانية كما توهموا	٢٣	
.....		وقد عرفت القرية كثيرًا من هؤلاء الرجال	٢٣	
أرسلتني أمي لمقابلتهم وحمايتهم بحيث لا يقترب منهم فتاة. ولكن لفتت نظري إحدى بنات عمي، ذات جمال أخاذ (متوحش) وبعطرها الجذاب (الفتان) وذات حزام مشدود (على خصرها) بحيث يظهر شكلها (مفاتنها).	٢٣	.....		
وعدت أكثرهم جمالاً (وسامة) أن تمارس معه الدراع عندما يشفي..	٢٣	.....		

والتدرع هو ممارسة الجنس على طريقة القرية. أي يخلو بها وحيداً ويلاطفها ويداعبها وهم بلباسهم...	٢٤	والتدرع في تقاليد القرية قديمًا، هو اختلاء الفتى بالفتاة بدون فض البكارة	٢٨	
.....		وقفت على مقربة وكأنها تتحدى الشمس..	٢٨	
ولكن لا أستطيع أن أقول كل شيء، لأن للقرية أسرارها.	٢٤	لأني مثل القرية لن أكشف عن بعض الصمت.	٢٨	
تؤكد لي بأني ولد وسيم	٢٤	جدير بهذه المحبة..	٢٩	
.....		استمر هذا الطريق حيًا إلى أن غادر الحياة	٣٠	
[مثال عن من يتشبه بخاله]	٣٣	بيت شعر	٣٧	
عَرفَت القرية عِدت إصابات لذاكرتها وتاريخها	٤١	وهكذا رأيت ذاكرة القرية تحترق أكثر من مرّة..	٤٧	
سيشتهر ابنك في العالم	٤٣	يقول إمام القرية: "سترزق بولد يصل علمه وخبره إلى كل مكان في الأرض ويملأ عينيك طمأنينة ونوراً ما دمت حياً ترزق".	٤٩	
كان يحتفظ بحذائه في	٥١	ويحتقر الأحذية لأنها تفصل	٥٨	

رجليه لكي لا تفصله عن الأرض		الإنسان عن الأرض		
كل الناس يعرف	٥٤	كل القبائل تعرف	٦١	
عاهدهما نسيبي	٥٤	ضحك الزوج وعاهدهما	٦١	
لامه حزام لأنه من عائلة تتكلم كثيراً دون أن تقول شيئاً ولم يعذره..	٥٧	وفتح أمام القرية أبواب العالم التي تسرب منها كل شيء إلى القرية وحزامها العجيب	٦٥	
تاريخ القرية الخفي	٧٠	.....		
نفتقر في القرية دوماً إلى الماء وخاصة في ري الحقول بالرغم من العدد المبالغ فيه من الآبار التي حفرها أسلافنا... وأتخذ [حزام] من السماء شاهداً له وهو يقول: ليس من أحد غيرك يستطيع أن ينزل المطر، صدقني لو أنني كنت في مكانك لفعلت ذلك... وبعد بضع دقائق تساقط المطر من السماء والجبال والوديان...	٨٠	"هذه القرية شمس وماء، أو شموس وماء." لم أعد أذكر كيف أوردها حزام... إلا أن البئر ضنتهما في اللحظات الأخيرة...	٩٣	

أطلعني على وثائق القرية آملاً أن أخلفه يوماً ما..	٨٣	أسر إلي بكل ما يعرف أملاً في أن أصبح حقلاً لذاكرته وذاكرة القرية...	٩٦	
قبلنا جباه الآباء		قبلنا رؤوس الآباء وجباههم	٩٩	
وضعته مع مالي		اقترحت عليه أن أضمه لما معي.	١٠١	
.....		وما إن فتحت حقيبتي حتى بدت لي الكارثة..	١٠١	
.....		وتخيلنا ما نشاء بعيداً عن رقابة الكبار.	١٠١	
كما صنعت أمي من قبل	٨٧	.....		
.....		والذي أخافني حقيقة هو ما نسمعه عن شهود الزور الذين يشهدون ظلماً مقابل حفنة من المال رغم مخاطر هذه الشهادة التي تنتظرهم في الدنيا إذا أكتشف القاضي كذبهم، وفي الآخرة جهنم وبئس المصير.	١٠٧- ١٠٨	
أما المال، لم يكن لدينا الإمكانية أن تعيش في المدينة بدونه: على الأقل للأرز والسكن.	٩٣	أما المال فلم يكن لدينا ما نحفظه، بل لم يكن لدينا ما يكفينا لأكل أرز أبيض وخبز جاف.	١٠٨	
		بيت شعر واحد	١١٦	صـ ٩٩

				أبيات شعر زائدة وكلمة غراب فيها وكذلك كلمة العبد في اللغة العربية تدل أيضاً، على لون البشرة، أي: "الأسود" بينما تبقى بالفرنسية بنفس المدلول اعبد عكس الحر
بيت شعر مشروح	١٠٠- ١٠١	بيت شعر ناقص	١١٨	
.....		وأقترب من الآخرة	١٤٩	
عندما انتهيت من كتابة هذا الكتاب، عدت إلى القرية لزيارة شخصيتي الرئيسية [البطل الرئيسي للرواية]، حزام.	١٣٩	بعد أن فرغت من كتابة هذا النص باللغة الفرنسية، عدت إلى قريتي، تلك التي كتبوها عبر آلاف السنين، كان عليّ أن أرى حزام.	١٥٨	
.....		حياني بابتسامته الأخيرة	١٥٨	

طلب مني أن أترجم له.	١٣٩	.....		
قرأت نصي من اليسار إلى اليمين بعكس ما نفعله بالعربية	١٣٩	لاحظ أني كنت أقرأ من اليسار إلى اليمين...	١٥٨	
.....		أتاني بقليل من التمر والزبيب ثم دعاني للجلوس بين يديه.	١٥٨	
.....		عدت إلى باريس	١٥٩	
الحجاب يخفي والحزام يكشف.	١٤٠	والحزام كما علمتنا يا حزام يكشف.	١٦٠	
.....		أرسل لي كتابك فربما يقرأهُ الأحفاد.	١٦٠	
أنا مريض، والقرية أيضًا	١٤٠	لأني مريض، أو هكذا يحاولون إيهامي	١٦٠	

يمكن أن أُضيف إلى ذلك بأن الرواية لم تجد عند الكثير من النقاد العرب ذلك الرواج الذي وجدته بالفرنسية، بالرغم من أنها تحمل تعبيرات كثيرة لا تنسجم مع العقلية الفرنسية بل لا تُفهم إذا لم تترجم أو تشرح للقارئ ويوضح له ما المقصود من المصطلح الذي قد لا يحمل معنى، ولا يعني له في الفرنسية شيء مطلقاً. وقد يسأل القارئ الفرنكفوني أو الفرنسي عن المقصود من معناها قبل حمولتها الثقافية. مثال ذلك: عنوان باسم: زوجة زوجته[٣٣] أو كما نقول: (مرة المرة) والتي تدل غالبًا، على ضعف الرجل أمام زوجته. كذلك: يا ولد أمه[٣٤] والتي تقال لمن يصغي وينفذ كثيرا كلام والدته متجاهلا كلام والده ربما أو زوجته... وهناك أيضا ألفاظ أخرى كقولنا لمن يكبرنا سنًّا، وخاصة في القرى والأرياف الجنوبية: (أبي فلان أو أمي فلانه) وذلك بدون تحديد ولكل أفراد القرية وهكذا...

كما أضاف الكاتب باباً في الرواية المترجمة للعربية بعنوان "تراحيب"،[٣٥] وذلك ترحيبًا بقرائه العرب كما يقول. ثم نجد في محتويات النسخة العربية باباً آخر بعنوان "الولي"[٣٦] بينما يمكن أن نترجمه عن الفرنسية بـ (النبي الصغير)[٣٧] وهكذا نجد الكثير من الإضافة أو التعديل التي ترجمها وأولها الروائي أو المترجم بطريقته.

قد نعذر الكاتب / المترجم في ترجمته لعنوان روايته "الحزام"؛ لأن الحزام في العربية مذكر بينما نجده في الفرنسية مؤنثا، ومع ذلك، فالمعنى كما نعتقد (في بطن الشاعر)، أو كما يقال. وقد يكون المعنى مكتوبا بين دفتي روايته وسطورها. لقد سكت الكاتب عن ترجمة بعض التعابير الجنسية (كالزنى بالمحارم L'inceste)، بل وبتغزله ببنت العم، وعن بعض الجمل التي تتعلق بالجزيرة العربية والتي لا تهم القارئ الغربي العادي. كما أعتمد الكاتب على عامل الإثارة والخيال الجامح كسفره ومغامراته في مدينة أبها، وقصته مع الممرضات الباكستانيات، وجارتهم وبنت عمه، أو كما يقول: " قوس قزحه."

كان كاتبنا نرجسيا،[٣٨] حيث وصفه حزام البطل بالغائب الذي لا ينسى أن يشير إلى ذاته ومغامراته وبطولاته في الريف والمدينة والعاصمة وباريس. لقد ظهرت نرجسيتهُ بجلاء في كثير من الأمثلة كقوله: أنا شاعر، أنا حكيم... بل وحتى في حكاية بعض الأساطير كقوله: كلنا شعر، الشجر الزرع الورود والماء والصخور... كما رمز للحب بقوس قزح وهكذا يمكن رصد قائمة أخرى من الأمثلة...

لقد تمكن الكاتب أحمد أبو دهمان من إيقاظ القرية من ذاكرته وتوثيق سهولها وجبالها وتراثها ورجالها ونسائها وعاداتها وتقاليدها. وسجلها بلغة عالمية وواسعة الانتشار مما أسهم في جعلها من الروايات الأكثر مبيعًا ، بل سمحت اللغة المكتوبة بها بسهولة انتشارها في أصقاع الأرض عبر ترجمتها لعدة لغات حية. لقد كشف أبو دهمان الغطاء، وعرى القبيلة من خلال نصه وبكائه على الأطلال. كما حاول أن يغازل مخيلته وفكره وقرائه بالفطرة والبراءة التي افتقدتها قرية الحاضر، ومعترفًا بموت القبيلة أو القرية منذ اللحظة دخول الممرضات، وخروج الأبناء والبنات إلى المدارس، وتغرب الأبناء في هجرة جماعية إلى المدن.

ها هو كاتبنا بحاجة إلى الغرب كما يحتاج الغرب إليه، وهذا ما يؤكده في إحدى المقابلات عندما قال: "نحن بحاجه الغرب بالتأكيد، ولكن الغرب بحاجتنا. ولهذا كتبت هذا الكتاب لننقل لهم وجهه نظرنا ونقول لسنا هنا فقط للاستعارة منكم، ولكن يمكننا أيضا أن نعيركم".[٣٩] لا شك أننا نتفهم لما سكت الكاتب عند تغنيه بالعربية عن مكتوب، ونطق بمسكوت بدلا عنه، ومع هذا وذاك فقد تقمص الكاتب في ترجمته، دور الرقيب ليصبح رقيباً ذاتياً لما يترجم (Autocensure)، وسكت أو تجاهل عما أفصح عنه في لغة الفرنجة.

ونشير إلى أن أحمد أبو دهمان أوجد للمرأة موضعًا جميلًا ومشرقًا في روايته، كما أشبعها كذلك بحضورها وقوتها الأسطورية الخارقة، وكان لأمه دورًا كبيرًا في ذلك الحضور؛ والتي مثلت شخصيتها المحرك الرئيس والفاعل لهذه الإيجابية، فقد لعبت الأم أدوار عديدة تلاحظها في مجموعة القيم الجميلة والمختلفة للقرية، تلك التي عشقها الكاتب. سطر الكاتب أمه لتصبح ذاكره القرية كما يقول في الرواية الفرنسية: فهي المرجع كما يقول: "Ma mère ma-référence"، لا سيما وهي تنقل إضافات مهمة إلى روايته الحزام. فحزام البطل لا يحتمل أن يرى الرجل أياً كان خاضعا للمرأة، ولهذا خاطب الكاتب البطل حزام بقوله: "القمر يعني المرأة"، والكلمة كما هو دارج في جنوب المملكة، تعني الاحتقار ولهذا قال له البطل: يا ولد أمه.[٤٠] أصبح الحزام ذاكرة امرأة تحمل أسرار القرية دون أن تبيح بها لأن: "قرية بلا سر ليست في حاجة الى شيخ..."[٤١] وعليه يؤكد المؤلف بأن لكل قرية صمتها.[٤٢] كما تحدث الكاتب عن عادات قبيلته ممثلة في قريته بالتحديد، كيف قاومت بعض الاختراقات مما يدور حولها، وكيف أصبحت القرية بعد أن اجتاحتها بعض التدخلات نتيجة لما حدث من تطور في المجتمع القروي، وربما في مجتمع الدولة السعودية التي ينتمي إليها الكاتب قاطبة.

ومن جهة أخرى، وظفت الأسطورة والحديث عنها في رواية أبو دهمان بحيث تطرق الراوي إلى أسطورة الأسنان والشمس والقمر والثعابين، وشكلت لدينا عبر الثقافات المختلفة والقراءات المتعددة مفاهيم متنوعة ومتجددة؛ لتجدد الزمن واختلاف الثقافة البيئية التي تنقل فيها الكاتب. يقول الراوي: "وقد روى لي أبي أسطورة أخرى وهو على

قناعة تامة بصحتها. يقول: إن القرية كانت غنية بالثعابين من كل نوع منها (الملائكة) كما يسمونها، المتصيد والأسود وغيرهما. أما الملائكة فهي تلك التي ترفع رأسها عالياً عن الأرض عندما تلتقي بإنسان. وقد اعتاد الناس احترامها، وتلافي إيذاءها أو قتلها؛ لأنها عندما ترتفع فإنما تطلب السلام وتُشيعه، في حين أن الأسود إما أن يقتل أو ينتحر. ومن هنا تعلم الإنسان من الثعابين معاني ورموز السلام والحرب..."[٤٣] وفي مكان آخر يتحدث الراوي عن الجني الذي يتجسد على هيئة ثعبان؛ ليحرس المبالغ المالية والعينية في الجبل.[٤٤] وأسطورة الحية تعني تجدد الحياة وهي رمز الخلود، فها هي الحية تجدد جلدها بين فصول السنة وهي دلالة على الحياة وحركتها الانسيابية وعلى الاستمرار. ومن الأساطير يقول الراوي في تعلم الشعر: "إحدى أساطير القرية التي يتداولونها إلى اليوم، تقوم على أن الشاعر الحقيقي هو الذي يوقظه الجن في عز النوم ثم يسقونه حليبًا ممزوجًا بالشعر فيصبح شاعرًا"[٤٥]، وكذلك أسطورة ضحك الإله عندما يلتقي ثعبان وامرأة.[٤٦]

إن رواية "الحزام" كما يعتقد الكاتب وكما نظن، بحاجة إلى قارئ مطلع وعارف بطبيعة المكان والمجتمع وإلا كان من الصعب عليه أن يصل إلى جوانب كثيرة من النص سواء الفرنسي منه أو العربي، وقد يصل القارئ ربما، إلى تحليلات لا تمت للنص ولا للكاتب بصلة. كما نعتقد أن بين أيدينا روايتين لأبي دهمان، عَبَرت في الداخل والخارج؛ لتخلق أسطورةً أكثر مما تحتمله الرواية نفسها. لقد كان احمد أبو دهمان كما كتب سعد الدوسري: "مخلصًا في الترجمة، وهي تجربة فريدة، أن يكتب كاتب عربي من خارج لبنان ودول المغرب نصًّا باللغة الفرنسية مباشرة، وأن يقوم هو نفسه بعد ذلك بترجمة النص إلى العربية. وأجزم أنه بذلك كتب روايتين، في البداية كتب للقارئ الفرنسي، لثقافة القارئ الفرنسي، ثم كتب لثقافة القارئ العربي، وشتان بين الثقافتين. ولذلك حينما يقرأ القارئ في رواية "الحزام" بعض الفقرات كالشعر، فلأن أبو دهمان، في هذه الحالة، يكتب للثقافة العربية: "أنا على يقين بأن في كل امرأة شمسًا. انظر كم هن مضيئات. ولهذا اتجنبهن، لأن أي شمس لابد أن تحرق". وعليه "أتمنى أن تظلي صغيرة مدى الحياة، لكي أتمكن من رؤيتك العين بالعين ما دمت حيًّا."[٤٧] وأخيرا، نتساءل كذلك مثل ما يقول سعيد علوش: "هل نحن أمام روايتين في رواية واحدة؟ أم أننا أمام تبذير وإفراط في الاقتصاد

النصي لصالح فن التفاصيل، وشطحات تداعيات الوظيفة اللغوية، الخاضعة لمنطق حفر البواطن؟"[٤٨] كما تلزمنا رواية (الحزام) عند قراءتها بانتظار ما قرأنا عنه، وما سمعنا من مقابلات الكاتب بأن هناك روايات أخرى قادمة نتعطش لقراءتها وتحليلها ومقارنتها، وقد تكون تلك القادمة، ربما، امتدادًا لما سبق.

* * * *

الهوامش

(١) فوزية محمد الجلال، صحيفة الجزيرة الإلكترونية، "الفرانكفونية وإشكالية الإبداع"، العدد ١٠٩٨٣، الخميس ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ.

(٢) محمد شكري، الخبز الحافي، دار الساقي للطباعة والنشر، عام ١٩٨٢م. (كتبت هذه الرواية سنة ١٩٧٢م ولم تنشر إلا بعد ترجمتها، ترجمت لحوالي ٣٨ لغة. ترجمت للإنجليزية قبل صدورها باللغة العربية سنة ١٩٧٣م وترجمها للفرنسية الكاتب المشهور الطاهر بن جلون عام ١٩٨١م)

(٣) فوزية محمد الجلال، صحيفة الجزيرة الإلكترونية، "الفرانكفونية وإشكالية الإبداع"، العدد ١٠٩٨٣، الخميس ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ.

(٤) تعد رواية (الحزام) ضمن جنس (الأدب الغرائبي) ويحاول هذا الأدب باختصار من جذب القراء بعرض مواضيع تكون احيانا غريبة وغير مألوفة لهم، وتمس أحيانا الحياة الخاصة لبعض الشعوب والمعتقدات. وعن عالمنا العربي نجد أن كثيرا من باعة الكتب على ضفاف نهر (السين) يبيعون كتبا عن الرحالة إضافة إلى صورا تذكارية لنساء الشرق في الحمامات أو (الحريم) وأحيانا بأوضاع غير مألوفة إطلاقا، تباع كفن غرائبي. ويهتم معظم الغربيين في الثقافتين العربية والاسلامية بعالم (الحريم) و (رقص البطن).. وقد كانت الصور الجميلة في سرد الرواية وحكاياتها نوع من الجذب والمتعة للقراء الفرنسيين.

(٥) نجد في العديد من الروايات الغربية أو العربية المكتوبة بلغة الآخر للأسف، بعض المعايير والصور الغربية النمطية (Les stéréotypes) للشعوب والثقافة العربيين، خاصة فيما يتصل برجل الصحراء أو المرأة.

(6) Ahmed Abodehman, La Ceinture, Ed. Gallimard, 2000, p. 7

(٧) صدرت رواية (الحزام) عن دار نشر فرنسية تعد من أشهر دور النشر، واشتهرت هذه الرواية ولاقت رواجا بعد أن نشرت في دار (غاليمار).. (Gallimard) وللعلم، لقد نشرت تلك الرواية ضمن سلسلة (الطفولة المتأخرة) وهذه الأخيرة عبارة عن سلسلة يكتب فيها كتاب من مختلف أنحاء العالم عن طفولتهم (باللغة الفرنسية)، وروايتنا (الحزام) تحمل التسلسل السادس والثلاثون، وهذه السلسلة تتبناها منظمة (اليونسكو) بتوصية من السياسي المصري الفرانكفوني (بطرس غالي). الف أحمد أبو دهمان رواية الحزام المكتوبة باللغة الفرنسية واشتهرت الرواية بعد نشرها في غاليمار، فبعد صدورها لأول مرة باللغة الفرنسية وانتشارها المذهل في المكتبات الفرنسية تمت ترجمة الرواية لعدة لغات مختلفة من بينها الإنجليزية والألمانية، كما انتقلت الرواية من دولة إلى أخرى ومن لغة لغيرها محققة أرقاما كبيرة في الانتشار. وبعد صدورها باللغة العربية ترجمتها لعدد من اللغات الأخرى.

(٨) أعشاب عطرية تستخدم في منطقة تهامة في جنوب المملكة... [أنظر الصورة على غلاف الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية].

(٩) أحمد أبو دهمان (الحزام)، دار الساقي للطباعة والنشر، رواية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص ٧

(١٠) أحمد أبو دهمان، المرجع السابق ذاته، ص

(١١) أحمد أبو دهمان، رواية الحزام المترجمة ص ٣٦

(١٢) نقلا عن موقع الدكتور سعيد علوش، تقطيع أوصال القبيلة في الرواية السعودية: "جُبَيّ" لرجاء عالم و"الحزام" لأحمد أبو دهمان، تاريخ الإنشاء يناير ٢٠٠٨م، جميع الحقوق محفوظة لصاحب الموقع. حيث ذكر د. سعيد ونقلا عن رواية أبو دهمان المترجمة، بأنه ولتكسير الإيهام الروائي في الصيغة العربية، لا يتورع الروائي عن التدخل السافر في النص لتبليغ أطروحته، على حساب متخيلها، متخفيا بثنائية اللساني: (ما أن صدر الحزام باللغة الفرنسية حتى اكتشفت أن لي، أن لنا أهلا في كل مكان، وان آخرين لا أعرفهم سينقلونه إلى لغاتهم، لكن أكثر التراحيب ألفة وحميمية ما قالته قارئة من المغرب العربي (هذه ذاكرتنا ردت إلينا).

(١٣) الرواية العربية، ص ١٠

(١٤) الرواية العربية، ص ١٥٨

(١٥) الرواية العربية، ص

(١٦) الرواية العربية، ص١١٤

(١٧) الرواية العربية، ص ١٥٧

(١٨) الرواية الفرنسية، ص ١٣٧

(١٩) الرواية العربية، ص٧٣

(٢٠) صحيفة الوطن، مقابلة مع الكاتب أحمد أبو دهمان، ،٢٥/ ١٢/ ١٤٢١ه الموافق ٢٠/ ٣/ ٢٠٠١م

(٢١) الرواية العربية ص ٢٨

(٢٢) خليل الفزيع، أحمد أبو دهمان وسطوة الحنين، صحيفة اليوم، السبت ١٧ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ، الموافق لـ ٢٧ أبريل (نيسان) ٢٠١٣م.

(٢٣) الرواية العربية ص١٤٠

(٢٤) الرواية العربية ص ١٦٠

(٢٥) الرواية العربية، ص ٤٥

(٢٦) الرواية العربية، ص٥٩

(٢٧) الرواية العربية، ص١٥٧

(٢٨) يقول خليل الفزيع، مرجع سابق: ظل أبو دهمان "وفيًا لمخزونه الثقافي وإرثه الحضاري، فقد فرضت القرية العربية سيطرتها على تفكيره وثقافته، ليس في كتاباته فقط، بل وفي سلوكه، وأحاديثه مع أصدقائه الفرنسيين، وهذا سر أصالة الكاتب وأصالة إبداعه، وبغير إرثه الحضاري الذي يتمسّك به، لم يكن لينجح في إبداعه، فقد ظل عربيًا بملامح فكره، وفيًا لكل تخوم جغرافية نفسه وعقله..."

(٢٩)الرواية العربية، ص ٧٣

(٣٠) عرفت بعض القرى والأرياف بإلصاق بعض الألقاب لأصحاب المهن وخلافة كنوع من التمييز ولسهولة معرفته عند الإشارة إليه... وتعطى بعض القاب المهن للتصغير من شأن صاحبها. من ألقاب أهل الريف يمكن أن نذكر: (الحطاب، الحمال، الخياط...) وهكذا، أما في رواية (الحزام) فقد الصق لقب السويدي للرجل الذي سافر إلى السويد.

(٣١)الرواية العربية ص ٩٦

(٣٢) مقارنة بين نصي المترجم (الرواية الفرنسية) الأصل والترجمة. جميع ارقام الصفحات مجاور للترجمة في الجدول أعلاه.

(٣٣) الرواية الفرنسية، ص ١٣

(٣٤) الرواية الفرنسية، ص ٦٩

(٣٥) الرواية العربية، ص ١٣

(٣٦) الرواية العربية، ص ٢٥

(٣٧) الرواية الفرنسية، ص ٢٠

(٣٨) كتب أحمد أبو دهمان في مقدمة مؤلفه جملا نقلناها كما هي: "كتابتي بالفرنسية جاءت تلبية لروح القرية، لأن في الفرنسية من المرونة والبساطة ما يغني عن العربية الفصحى. عبر اللغة الفرنسية اكتشفت بلادي واكتشفت نفسي، إنها لغة ليست مُقيِّدة أو مُقيَّدة. استطعت أن أنمو من خلالها وان اكتشف ذاتي وأستقل روحيا واجتماعيا"

"أنا اول كاتب من الجزيرة العربية يكتب باللسان الفرنسي، وانا متأكد تماما أنه سيغري الفرنسيين، وسيغضب بعض العرب !!"

"قد أتاحت لي باريس أن أكون إنسانا كاملا يحمل المعنى الحقيقي للحداثة، بينما القبيلة لاتزال تعتبرني خلية صغيرة سوداء، لأني تزوجت امرأة فرنسية."

(٣٩) مقابلة في الإذاعة السعودية، الرياض، مع الكاتب أحمد أبو دهمان، ١٤٢٤هـ

(٤٠) الرواية الفرنسية ص ٦٩

(٤١) الرواية العربية ص ١٦

(٤٢) الرواية العربية ص ٢٨

(٤٣) الرواية العربية ص ٥٤

(٤٤) الرواية العربية ص ١٤٣

(٤٥) الرواية العربية ص ٥٤

(٤٦) الرواية العربية ص ٥٥

(٤٧) سعد عبدالله الدوسري، صحيفة الرياض، النبتة النادرة (٣- ٣)، ١٤-١٠-٢٠٠٤م.

(٤٨) الدكتور سعيد علوش، تقطيع أوصال القبيلة في الرواية السعودية: "جُبَيّ" لرجاء عالم و"الحزام" لأحمد أبو دهمان، تاريخ الإنشاء يناير ٢٠٠٨م، جميع الحقوق محفوظة لصاحب الموقع.

* * * *

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- أحمد أبو دهمان، الحزام، دار الساقي للطباعة والنشر، رواية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م
- محمد شكري، الخبز الحافي، دار الساقي للطباعة والنشر، عام ١٩٨٢م. (كتبت هذه الرواية سنة ١٩٧٢م ولم تنشر إلا بعد ترجمتها، للإنجليزية قبل صدورها باللغة العربية سنة ١٩٧٣م، ترجمت لحوالي ٣٨ لغة. وقد ترجمها للفرنسية الكاتب الطاهر بن جلون عام ١٩٨١م)
- رُنيه ماري ألبيريس (René Marill Albérès)، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة عن الفرنسية جورج سالم، منشورات نجم المتوسط، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ١٩٦٧م.
- خالد اليوسف، الرواية في المملكة العربي السعودية حتى أكتوبر٢٠٠٦م، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، المجلد ١٣، العدد الأول، سنة ١٤٢٨هـ.
- الدكتور سحمي الهاجري، جدلية المتن والتشكيل: الطفرة الرواية السعودية، النادي الأدبي بحائل، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م
- د. سلطان سعد القحطاني، الرواية وتغيرات المجتمع في المملكة، مجلة علامات في النقد، السعودية، الجزء ٦٩، المجلد ١٨، مايو ٢٠٠٩م
- خالد اليوسف، الرواية في المملكة العربي السعودية حتى أكتوبر٢٠٠٦م، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، المجلد ١٣، العدد الأول، سنة ١٤٢٨هـ.

- د. حسن النعمي، رجع البصر، قراءات في الرواية السعودية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م.
- موقع الدكتور سعيد علوش، تقطيع أوصال القبيلة في الرواية السعودية: "جُبَيّ" لرجاء عالم و"الحزام" لأحمد أبو دهمان، تاريخ الإنشاء يناير ٢٠٠٨م.
- معجب العدواني، الرواية السعودية في الألفية الثالثة من الهامش إلى الهامش، ألقيت المحاضرة في نادي المدينة الأدبي (السعودية)، وذلك يوم الثلاثاء الموافق لـ١٧ مارس ٢٠٠٩م، وقد أدارها الأستاذ عمر الرحيلي.
- مراد عبد الرحمن مبروك، جيوبويتيكا النص الروائي الخليجي وآليات التشكيل، الرواية السعودية أنموذجا، مجلة علامات في النقد، السعودية، الجزء ٦٨، المجلد ١٧، ٢٠٠٩م

صحف ومجلات وأخرى:

- صحيفة الجزيرة الإلكترونية، فوزية محمد الجلال، "الفرانكفونية وإشكالية الإبداع"، العدد ١٠٩٨٣، الخميس ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ.
- صحيفة الوطن، مقابلة مع الكاتب أحمد أبو دهمان، ٢٥/ ١٢/ ١٤٢١هـ الموافق، ٢٠/ ٣/ ٢٠٠١م
- صحيفة الرياض، سعد عبدالله الدوسري، النبتة النادرة (٣- ٣)، ١٤-١٠-٢٠٠٤م.
- صحيفة اليوم، خليل الفزيع، أحمد أبو دهمان وسطوة الحنين، السبت ١٧ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ، الموافق لـ ٢٧ أبريل (نيسان) ٢٠١٣م.
- إذاعة الرياض السعودية، مقابلة إذاعية مع الكاتب أحمد أبو دهمان، الرياض، ١٤٢٤هـ

المراجع الأجنبية:

Romans:

- Abodehman Ahmed, *La Ceinture*, ed. Gallimard, 2000.
- Boudjedra Rachid, *La répudiation*, Paris, Gallimard Folio, 1981.
- Khatibi Abdelkbir, *La mémoire tatouée*, Paris, Ed. Denoël, coll. Lettres Nouvelles, 1971.
- Laroui Fouad, *Le jour où Malika ne s'est pas mariée*, Nouvelles, Paris Ed. Julliard, 2009
- _____, *La vieille dame du riad*, Paris, Ed. Julliard, 2011.
- Yacine Jean-Luc, *L'escargot*, Paris, Ed. L'Harmattan, 1986

Œuvres critiques:

- Keita Aoua, *Femmes d'Afrique*, Paris, Ed. Présence Africaine, 1975.
- Jauss. R., *Pour une esthétique de la réception*, Paris, Gallimard, 1978.
- Panken, Shirley, *Oh that our human pain could here have ending, Between the Acts*". 1987.
- Semprun Jorge, *Le grand Voyage*, Editions Gallimard, 1972.
- Woolf Virginia and the "*Lust of Creation*", A Psychoanalytic Exploration, SUNY Press, pp. 260–262. Retrieved 13 August 2009.

Revues littéraires:

- Roger Chemain et Arlette Chemain Degrenge, in ***Imaginaires francophones***, Publication de la Faculté des Lettres Arts et Sciences Humaines de Nice, Université de Nice Sophia-Antipolis, Nouvelle série, No.22, 1995.
- Présence francophone, Revue internationale de langue et de littérature, no. 45, 1994.
- Cahiers de la Méditerranée, Université de Nice No. 38, Juin 1989.

❊ ❊ ❊ ❊